من المعلوم أن العرب عبارة عن شعب من الشعراء، على حد قول زيجرد هونكه[1]. وكان البيت الواحد من الشعر يرفع صاحبه، أو يزري به[2]. ولما جاء الإسلام أحدث تحولا كبيرا في حياة العرب، وحوّل مجرى التاريخ برمته،

ولكن تعالت بعض الأصوات تزعم أن الإسلام عادى الشعر والشعراء. إلا أنه نظرًا لأهمية الشعر وخطورته في حياه العرب والمسلمين فقد حدَّد الإسلام موقفه منه فكريًّا وفنيًّا ومنهجيًّا، وعمل على تصويبه وتوجيهه، بما يناسب فطرة الإنسان، والمبادئ الصحيحة التي يجب أن يكون عليها كل ذي لبّ.

ولقد سبقت الأدب الإسلامي إرهاصاتٌ قبل ظُهُوره، كالقيم التي تغنى بها الشعر لدى أمثال عنترة بن شداد، وزُهَيْر بن أبي سلمى، وقُس بن ساعدة، وغيرهم، يقول زهير بن أبي سُلمى:[3]

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ * يَفِـرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَـمِ**
ومَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِـهِ * عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْـنَ عَنْهُ وَيُذْمَـمِ**
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَـهُ * وَإِنْ يَـرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّـمِ**

ويقول عنترة بن شداد:[4]

أَغْـشَى فَتَاةَ الحَيِّ عِنْدَ حَلِيلِـهَا * وَإِذَا غَـزَا فِي الجَيْشِ لاَ أَغْشَاهَا**
وَأَغُضُّ طَـرْفِي إِنْ بَدَتْ لِي جَارَتِي * حَتَّى يُـوَارِي جَارَتِي مَأْوَاهَا**

ويقولُ قُسّ بنُ سَاعِدَةَ الإيادي:[5]

لَمَّا رَأَيْـتُ مَـوَارِدًا * لِلْمَـوْتِ لَيْسَ لَهَا مَـصَادِرْ**
وَرَأَيْتُ قَـوْمِـي نَـحْـوَهَا * تَـمْضِي الأَصَاغِـرُ وَالأَكَابِـرْ**
أَيْقَنْـتُ أَنِّـيَ لاَ مَـحَا * لَةَ حَيْثُ صَارَ القَـوْمُ صَائِـرْ**

---

[1] - فصل مستقل في آخر كتابها "شمس الله تسطع على الغرب"، ص: 378 - 396. وزيجرد هونكه مستشرقة ألمانية (26 أبريل 1913 - 15 يونيو 1999) معروفة بكتاباتها في مجال الدراسات الدينية، وحصلت على شهادة الدكتوراه عام 1941.. اشتهر عنها في آخر حياتها أنها كانت تنظر للإسلام نظرة معتدلة كما هو واضح من أشهر تراجم كتاباتها انتشارا في العالم العربي وهما "شمس العرب تسطع على الغرب" وكتاب "الله ليس كذلك".

[2] - انظر البيان والتبين، ج 4، ص. 38؛ حيث ذكر الجاحظ أن قبيلة كانت تُدْعَى "بني أنف الناقة"، فأنقذها بيت واحد من عار هذا الاسم، وهو قول الشاعر الحطيئة:

قومٌ هُمُ الأَنْفُ والأذنابُ غَيْرُهُمُ * وَمَنْ يُساوِي بِأَنْـفِ النَّاقَـةِ الـذَّنَـبَا**

فصاروا يتفاخرون باسمهم بعدما كانوا يستحون منه. والبيت ورد في كتب الأدب بروايات مختلفة.

[3] - شرح المعلقات السبع للزوزني/ معلقة زهير بن أبي سلمى، ص: 204. 2- والبيت للحطيئة.

[4] - ديوان عنترة (303-308)، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية 1403هـ-1983م.

[5] - خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، الشاهد الرابع والعشرين بعد السبعمائة. وانظر البداية والنهاية لابن كثير/الجزء الثاني/ذكر قس بن ساعدة الإيادي.

هذه القيم جعلت البدويَّ المعدم في قاصية الفلاة تضيق عليه مذاهبُه، وقد أقبل صَوْبَ خيمته ضيفٌ هو عاجِزٌ عن قِراه، فقال:[1]

رَأَى شَبَحًا وَسْطَ الظَّلامِ فَرَاعَــهُ * فَلَمَّا بَدَا ضَيْفًا تَسَـــــوَّرَ وَاهْتَمَّا**
فَقَالَ هَيَا رَبَّاهُ ضَيْفٌ وَلاَ قِــرَى * بِحَقِّكَ لاَ تَحْرِمْهُ تَا اللَّيْلَةَ اللَّحْـمَا**

وابنه يراه في هذه الحيرة، وهو غلام يافع، ويخشى على أبيه من الذم:

فَقالَ ابْنُهُ لَـمّا رَآهُ بِـحَيْـــــــرَةٍ * أَيا أَبَتِ اذْبَحْنِي، ويَسِّرْ له طَعْـمَا**
ولا تَعْتَذِرْ بالعُدْمِ علَّ الّذِي طَـرَا * يَظُنُّ لنا مالًا فَيُوسِعُـــــنَا ذَمَّا**

فما كان من الإسلام إلا أن أقر هذه القيم، وشجع عليها، كيف لا؟ وهي موافقة لكثير من المبادئ التي يدعو إليها، ويحرص على انتشارها في المجتمع.

أما الموقف من الشعر والشعراء في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف، فقد انبرى بعض الدارسين لتفنيد الدعاوى والمزاعم، وردها؛ ففي قول الله تعالى: **{وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ}**.[2] **{وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلا مَا تُؤْمِنُونَ}**.[3] وقوله تعالى: **{بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ}**.[4] وقوله تعالى: **{وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (36) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (37)}**[5] رد على اتهامات المشركين، فالقرآن نفى عن النبي –صلى الله عليه وسلم- ما وصفوه به لما قالوا بأنه: شاعر أو كاهن أو ساحر أو مجنون أو كذاب.. وفي كل ذلك تنزيه له -صلى الله عليه وسلم- عن قول الشعر لئلا يتوهم قدرته على الإتيان بكلام يضاهي الشعر، وكان شائعاً عندهم أن كل شاعر لديه شيطان يلهمه الشعر، ويُجريه على لسانه. وليس في الآية الكريمة ما يفهم منه انتقاص من قيمة الشعر، وإنما فيها بيان لرسالة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولتأكيد أن القرآن الكريم كلام الله تعالى نزل على رسوله الكريم – صلى الله عليه وسلم - ولم يصبهُ أي ضرب من ضروب الإبداع البشري.

أما في قول تعالى: **{وَالشُّعَرَآءُ يَتْبَعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ (223) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (224) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (225) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟**

---

[1] - ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن السَّكيت، دراسة د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1993/1، ص: 178، من الطويل، من قصيدة مطلعها:
وَطَاوِي ثَلاثٍ عاصِبِ البَطْنِ مُرْمِلٍ *** بِتَيْهَاءَ لَمْ يَعْرِفْ بها ساكِنٌ رَسْمَا
وروى البستاني "ببيداء" بدل "بتيهاء". وانظر البناء الدرامي في الشعر العربي القديم، د. عماد حسيب، ط: 2011/1، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ص: 168

[2] - سورة يس: 69.

[3] - سورة الحاقة: 41.

[4] - سورة الأنبياء: 5.

[5] - سورة الصافات.

أُلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ أُللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعْلَمُ أُلذِينَ ظَلَمُوَاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ (226)}[1]. فالمقصود الشعراء الذين يهيمون على وجوههم، من الكذب والضلال، بينما استثنت الآيات الشعراء الذين يذكرون الله كثيراً وينتصرون ممن هجا المسلمين، فتكون هذه الآيات رفعاً لمكانة الشعراء المسلمين، وحطاً من الشعراء الكذابين.

ويستدل فريق بأحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-؛ ومنها قوله :**((لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ له مِن أنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا))**[2] إلا أن المقصود به : من غلب الشعر على قلبه، وملك نفسه، وكَثُر منه حتَّى شَغَله عن القُرآنِ وعن ذِكرِ الله، وإقامة فروضه. فالمذموم الامتلاء، وليس الشعر مطلقا. أو يكون المرادُ بالشِّعرِ ما تَضمَّن سبًّا وهجاءً أو مُفاخَرةً وظلما، كما هو غالِبُ شِعرِ الجاهليّين.

ومن الواضح أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- حسم الموقف تماماً حين قال: "ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم." ويؤيد ما ذهبنا إليه، ما ورد في صحيح البخاري، في قوله -صلى الله عليه وسلم-: **((إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحراً))**[3].

وكان نبينا – صلى الله عليه وسلم- يستمع إلى الشعر، ويمدحه، ويطلب المزيد من إنشاده؛ روى البخاري في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يضع لحسان مِنبرًا في المسجد يقوم عليه قائمًا يُفاخِر عن رسول الله - أو يُنافح - وكان يقول له:[4] **((اهْجُهُمْ، أَوْ هَاجِهِمْ، وَجِبْرِيلُ مَعَكَ))، أو قال: ((اللهم أيده بروح القدس))**[5].

---

[1] - سورة الشعراء.

[2] - رواه البخاري عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما-: 6154. والقيح: الصَّدِيدُ الَّذِي يَخرُج مِن الدُّمُّلِ، وقِيلَ: المِدَّةُ الَّتِي لا يُخالِطها دَمٌ، والمِدَّة: هي ما يَجتمِع في الجُرح ثُمَّ يَنفجِر منه.

[3] - صحيح البخاري، ويروى: (لحكما) كما في المسند وسنن، أبي داود. وروى الإمام أحمد في المسند وأبو داود عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ((إن من البيان سحرا ، وإن من الشعر حكما)). وأخرج أبو داود عن بريدة - رضي الله عنه – مرفوعا: ((إن من البيان سحرا، وإن من العلم جهلا، وإن من الشعر حكما، وإن من القول عيالا)). قال الحريري في درة الغواص: معناه إن من الحديث ما يستثقل السامع أن يعرض عليه ويستشق الإنصات إليه.

[4] - رواه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري ومسلم عن الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، وفي رواية النسائي، وأحمد: ((وروح القدس معك))، وفي رواية ابن حبان، وغيره: ((إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَكَ ما هاجيتهم)). وروى مسلم وأبو داود عن عَائِشَةُ قالت: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ لِحَسَّانَ: ((إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)).

[5] - انظر كتاب فضائل الصحابة، من شرح صحيح مسلم، للوشتاني الأبي والسنوسي الحسني، دار الكتب العلمية، ج: 8 ص: 390.

كما لم يُرْوَ عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنه أنكر تلك المقدمات الطللية أو الغزلية باعتبارها تقليداً فنياً من تقاليد الشعر، ولم يعرض عن الشعراء الذين أنشدوه الشعر، ككعب بن زهير، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت رضي الله عنهم، بل كان –صلى الله عليه وسلم- يشجع الشعراء على التصدي للمشركين بأشعارهم. فلما أنشده النابغة الجعدي:

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْـــدُنَا وَجُدُودُنَا * وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا**

قال له -صلى الله عليه وسلم- : إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال: إلى الجنة يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام : أجل، إن شاء الله تعالى. فلما بلغ قوله:

وَلاَ خَيْرَ فُي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ * بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا**

وَلاَ خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ * حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرَا**

قال له: **((لاَ يَفْضُضِ اللهُ فَاكَ))**[1]-مرتين-. فقيل: إنه عاش مئة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية. وزاد عبد الله بن جراد: "فرأيتُ أسنانه كالبرد المنهل، ما انفصمت له سنٌّ ولا انفلتت".[2]

ويستدل البعض بأن لبيدا قد هجر الشعر منذ أن هداه الله إلى الإسلام، ولم يقل في الإسلام غير بيت واحد[3].. وقد بين الدكتور يحيى الجبوري[4] أن لبيدا لم يتوقف عن قول الشعر ولم يهجره؛ ففي شعره ثروة ليست هينة تتضح فيها الروح الإسلامية، وأن جوابه السابق يفسر بأنه عرف ما أراده الخليفة من الاطمئنان على إيمانه كشاعر فأجابه جواباً فطناً.. ولو صح هذا فسيبقى موقفا فرديا يخص لبيدا، ولا يتخذ قاعدة عامة.

---

[1] - الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو ليلى النابغة الجعدي.

[2] - قيل: وعاش النّابغةُ بدعوة النّبي -صَلّى الله عليه وسلم- حتى أتَتْ عليه مائة واثنتا عشرة سنة. فقال

أَتَتْ مَائَةٌ لِعَامٍ وُلِـــدْتُ فِيهِ * وَعَشْـــرٌ بَعْدَ ذَلِكَ وَاثْنَـــتَانِ**

وَقَدْ أَبْقَتْ صُرُوفُ الدَّهْـرِ مِنِّي * كَمَا أَبْقَت مِنَ الذَّكَـــرِ اليَمَانِي**

أَلَا زَعَمَتْ بَنُـــو سَعْـــدٍ بِأَنِّي * وَمَا كَذَبُوا كَبِيرُ السِّـــنِّ فَانِـي**

[3] - وقد اختلفوا فيه؛ ففي رواية أبي عبيدة أن البيت الذي قاله هو :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي * حتى لبست من الإسلام سربالا**

وهذا البيت غير موجود في ديوانه وينسب الى قردة بن نفاثة السلولي من معاصري لبيد. وقيل إن البيت الذي قاله في الاسلام هو :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه * والمرء يصلحه الجليس الصالحُ**

وقيل بل البيت هو : **وكل امرئ يوما سيعرف سعيه *** إذا حصلت عند الإله الحصائل**

وهذا البيت من قصيدة قالها قبل الاسلام . وأساس الرواية أن الخليفة عمر (رض) سأل لبيدا ان ينشده مما قاله في الاسلام فأجابه بكتابة سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها وقال : أبدلني الله هذه في الاسلام مكان الشعر، وحين علم الخليفة بالخبر زاد عطاء لبيد تقديراً لموقفه .

[4] - كتابه: لبيد بن ربيعة العامري

ولم يك في عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم منكر يعتد بقوله أنكر الاستماع للشعر. ومن كره شيئا من ذلك من أعلام العلماء إنما هو لكونه يهيّج الطباع لرقته لا لِـحِرمة ذاته. وكيف يسوغ الإنكار على إسماع وإنشاد الأشعار وفيه حكمة؛ وهي ما يمنع من الجهل.[1]

ورأى ابن سلّام الجُمحي أن الشعر في صدر الإسلام قد قل من الناحية الكمية، لأنه لما: **"جاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته"**[2]، ومع هذا نراه يذكر ما يقرب من خمسة وعشرين شاعراً من صحابة الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

ويرى فريق آخر على رأسهم ابن خلدون أن الناس انصرفوا عن قول الشعر وأخرسوا بسبب انشغالهم بأمر الدين والدعوة، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً، ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وأثاب، ويبدو أن القدماء ركزوا على موضوع الكم لا على الكيف، فرأوا أن الضعف منصب على هذه الزاوية، غير أن منهم من عرض للجانب الفني وخصوصاً الأصمعي.

وقال الأصمعي: "الشعر نكد لا يقوى إلا في الشر ويسهل، فإذا دخل في الخير ضعف ولان"[3]. وذهب إلى أن شعر حسان كان علا في الجاهلية فلما دخل شعره في باب الخير لان، يقول في ذلك: "هذا حسان فحل من فحول الشعراء في الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره."

ولكن ثمة فرق بين اللين والضعف، فلعل المقصود باللين الرقة والسهولة نقيض الجزالة والحماسة، وربما يكون هذا ما عناه ابن سلام، فاللين هنا سمة أسلوبية حضارية.

أما المُحْدَثُونَ، فقد اختلفت وجهات نظرهم؛ فمنهم من لم يعترف بمرحلة صدر الإسلام، مؤكداً ضعف الشعر في هذه المرحلة، ومنهم من أنكر ذلك.

ومن الذين أنكروا ضعف الشعر في هذا العصر، الدكتور محمد مصطفى هدارة[4]، حيث قال: "لا مجال للمقارنة بين الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي أيام الرسول -صلى الله عليه وسلم- والخلفاء الراشدين من ناحية الكم، فمدة عصر الرسول -عليه الصلاة والسلام- وخلفائه الراشدين لا تزيد على أربعين سنة في

---

[1] - انظر "غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب" لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني، ط 2، مؤسسة قرطبة: 1414هـ/ 1993م ، ج1، ص: 185.

[2] - انظر كتابه (طبقات فحول الشعراء).

[3] - الشعر والشعراء: 1/ 305.

[4] - في كتابه (دراسات في الشعر العربي، تحليل لظواهر أدبية وشعراء)

حين امتد العصر الجاهلي أكثر من مائة وخمسين عاماً. كما أن شعراء المشركين أيضاً ضاع أغلب شعرهم".

وعموما، فالإسلام دعوة إصلاح وخير وسلام وتهذيب، وصادف مجيئه انقضاء عصر الفحول من شعراء الجاهلية، إضافة إلى أنه لم تتوفر لهذا الشعر العناية الكافية من رواية وتدوين، فضاع كثير منه أيام الفتوحات، وكان الناس في شغل شاغل عنه. كما أصاب هذا الشعر النحل والادعاء. فضلا عن شيوع ظاهرة الارتجال وخصوصاً في شعر الفتوحات، وكان عبارة عن مقطوعات. وهؤلاء النقاد كانوا يحكمون على الشعر الإسلامي بمقاييس الشعر الجاهلي. بالإضافة إلى أن كثيرا من فحول شعراء الجاهلية، أمثال لبيد بن أبي ربيعة، ظلت أشعارهم حبيسة كتب طبقات الصحابة، وليس في دائرة الأدب .